الاهتمام بالشباب وأهمية دورهم في بناء الأمة ، ونهضتها
(نماذج منتخبة من السنة النبوية)

د. عبدالرزاق أحمد عبدالرزاق
كلية التربية للبنات - جامعة بغداد

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين : سيدنا محمد، وعلى آله ، وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فمنذ زمن ليس بالقريب ، والأمة الاسلامية تخلفت عن ركب الحضارة الإنسانية بعد أن قادت هذه الحضارة قيادة رشيدة فترة طويلة من الزمان تفيأت خلالها البشرية بأفياء العدالة ، والرحمة ، والمحبة. وبسبب تخلي الأمة عن منهج ربها، واحتكامها إلى مناهج البشر المخالفة لمنهج الله تراجعت تراجعاً خطيراً في جميع نواحي الحياة الفكرية، والسياسية ، والاجتماعية ، والإقتصادية ، وقد بلغ هذا التراجع مدى خطيراً في السنوات الأخيرة، إذ توقفت الحياة داخل الأمة توقفاً شبه كامل ، ورافق ذلك احتلال الأعداء لأراضي الأمة ، وسيطرته على مقدراتها، وتوجيه القائمين على أمورها – في الأغلب – الوجهة التي لاتلبي طموحات الأمة في التحرر ، والنهوض، وإلهاء الأمة بسفاسف الأمور لاسيما الشباب منهم ، لأنهم يعلمون علم اليقين أهمية دور الشباب، وكيف أنهم يشكلون الطليعة المتقدمة في الأمة ، وعلى عاتقهم تقوم مهمة البناء والنهوض .

واستجابة للدعوة الكريمة التي تلقيتها من اللجنة التحضيرية للمؤتمر العلمي السابع لكلية الشريعة الغراء في جامعة جرش للمشاركة في مؤتمرها الذي ينعقد بعنوان " تداعيات انحسار المد الإسلامي ، وأولويات العمل" أتقدم بهذا البحث ضمن المحور الثاني : أولويات العمل في مواجهة التحولات ، راجياً أن ينال رضاكم.

لقد كان رسول الله ﷺ مدركاً لأهمية دور الشباب في بناء الأمة والنهوض بها ، ولذلك – وكما سنرى في ثنايا البحث – اهتم بهم ، ورعاهم ، ووضعهم في المكانة اللائقة بهم، والأمة – وهي تعمل على استعادة دورها في الحياة – حريّ بها أن تتأسى برسولها الكريم ﷺ ، وتستلهم أساليبه في الاهتمام بالشباب من أجل بناء غدها المشرق.

وهذا البحث تضمن بعد المقدمة تمهيداً أشرت فيه إلى قيام الدعوة الاسلامية في أول عهدها على الشباب، وثلاثة مباحث تحدثت في الأول منها عن اهتمام الرسول ﷺ ببناء الشباب

عقائدياً، واجتماعياً. وفي الثاني بينت اهتمام الرسول ﷺ باعطاء الشباب دور القيادة . واما في الثالث فبينت اهتمام الرسول ﷺ باكتشاف مواهب الشباب ، وتوجيهها الوجهة السليمة.

وختمت البحث ببعض التوصيات التي رأيت من الضروري الإشارة إليها .

وبعد : فالله – تعالى – أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله في صحائف أعمالي، وأن ينفع به ، وأن يغفر لي ، ولوالديّ ، وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، إنه سميع قريب.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه ، وسلم تسليماً كثيرا.

أهمية البحث

يشكل الشباب الطليعة المتقدمة في كل أمة، فعليهم تعتمد الأمم في نهضتها، وهم أملها في قابل الأيام ، وهم يمثلون القوة الحية المتحركة في المجتمع ، وأي تغيير يمكن أن يحدث في الأمة يقوم على أكتاف الشباب غالباً، ولذلك حينما طلب سيدنا موسى – عليه الصلاة والسلام – من بني إسرائيل دخول الأرض المقدسة، ونكصوا على أعقابهم ، وعاقبهم الله في التيه أربعين سنة [1] ، فإن الجيل الذي دخل الأرض المقدسة بعد ذلك هو الجيل الذي نشأ أيام التيه، والذي لم يتعود حياة الذل ، والاستعباد التي تعود عليها آباؤهم ، وأجدادهم الذين عاشوا في مصر، فنشأ جيل جديد قوي استطاع أن ينتصر.

ولكن هذا المعنى الذي يحمله مصطلح الشباب حوّل عن وجهته ، وصار الشباب يعني التحلل، والانفلات، وعدم الالتزام ، فحينما يفعل شاب من الشباب فعلاً مستقبحاً تجد من يدافع عن فعلته بقوله: إنه شاب، وساعد على ذلك وسائل الإعلام الموجهة لخدمة هذا الهدف، والتي تعمل على إظهار الشباب على أنه مرحلة للتسيب، والانحلال الخلقي، بل إن هناك عدداً غير قليل من الفضائيات العربية التي تحمل عنوان (الشباب، أو الشبابية)لايبث من خلالها إلا البرامج، والأغاني التي لاتحمل إلا معاني الانحلال الخلقي، واثارة الغرائز ، وهذا أمر جد خطير، وينذر بأن يخرج في الأمة جيل لايعرف إلا الانحلال والتسيب، لذلك ، فإن الواجب يحتم على الأمة – لاسيما الموجهين – التنبيه على خطورة هذا الأمر ، وأن يأخذ كل إنسان دوره سواء أكان أباً ، أم أماً، أم أخاً ، وكل مسؤول في البيان، والتنبيه، والتوجيه، وتحصين

---

(1) وهذا ما اشار اليه قوله تعالى: ((قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض ، ...)) . سورة المائدة : ٢٦.

الشباب ، وتوجيههم الوجهة الصحيحة التي تحصنهم، وتساعد الأمة على أن تستعيد عزتها ، ومجدها.

تمهيد

قيام الدعوة الاسلامية في أول عهدها على الشباب

إن المتأمل لأحداث السيرة النبوية الشريفة يجد أنه حين بعث الله سيدنا محمداً – عليه الصلاة والسلام- بهذا الدين كان أكثر الذين سارعوا إلى الاسلام من الشباب سواء كانوا رجالاً ، او نساءً ، وعلى أكتاف هؤلاء الشباب قامت الدعوة الإسلامية، فقد بذلوا أرواحهم، وسخروا طاقاتهم كلها من أجل هذا الدين، ويقف في طليعة هؤلاء الشباب سيدنا مصعب بن عمير [٢] الذي كان عمره يوم أسلم لايتجاوز خمسة وعشرين عاماً، وكتم اسلامه خوفاً من أمّه ، وقومه ، فعلم بإسلامه أهله، فأوثقوه، فلم يزل محبوساً إلى أن هرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة. ولما كانت بيعة العقبة الأولى بعثه النبي ﷺ مع الصحابة الذين بايعوه من أهل المدينة ، وأوكل إليه مهمات ثلاث:

الأولى : تعليم من أسلم من أهل المدينة المنورة القرآن الكريم، وأحكامه.

الثانية: دعوة مَنْ لم يسلم من أهل المدينة إلى الدخول في الاسلام.

الثالثة: وهي أخطر المهمات ، وأهمها : العمل على تهيئة المدنية لاستقبال الدين الجديد.

لقد كان في أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ من هم أكبر منه سناً، وأكثر جاهاً، وأقرب من رسول الله ﷺ قرابةً، ولكن النبي ﷺ اختار مصعب الخير وهو يعلم أنه يكل إليه بأخطر قضايا الساعة، ويلقي بمصير الاسلام في المدينة التي ستكون دار الهجرة ، ومنطلق الدعوة والدعاة بعد حين من الزمان، قريب.

وحمل مصعب الأمانة مستعيناً بما أنعم الله عليه من عقل راجح ، وخلق كريم ، وكان قد نزل في ضيافة أسعد بن زرارة ﷺ [٣] ، فكانا يغشيان معاً القبائل، والبيوت ، تالياً على الناس مامعه من كتاب الله ، فغزا أفئدة أهل المدينه بزهده، وترفعه، وإخلاصه، فدخلوا في دين الله أفواجاً.

---

(٢) هو أبو عبدالله مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي ، العبدري، من جلة الصحابة ، وفضلائهم . كان حامل راية رسول الله ﷺ يوم بدر ، وأحد واستشهد يوم أحد . ترجمته في : الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبدالله النمري القرطبي: ٣/٤٦٨-٤٧٢، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الاثير الجزري: ٥/١٨١-١٨٤.

(٣) ينظر: تاريخ الاسلام ، ووفيات المشاهير والاعلام / القسم الخاص بالسيرة النبوية للامام أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي: ٢٩٣.

لقد جاء مصعب المدينة يوم بعثه رسول الله ﷺ وليس فيها سوى اثني عشر مسلماً هم الذين بايعوا النبي ﷺ من قبل في بيعة العقبة ، ولكنه لم يكد يتم بينهم بضعة أشهر حتى استجابوا لله ، وللرسول.

وفي موسم الحج التالي لبيعة العقبة كان مسلمو المدينة يرسلون إلى مكة للقاء النبي ﷺ وفداً يمثلهم، وينوب عنهم، وكان عدد اعضائه سبعين مؤمناً، ومؤمنة ، وجاؤوا تحت قيادة معلمهم، ومبعوث نبيهم ﷺ إليهم مصعب ابن عمير [٤] .

ولقد نجح سيدنا مصعب أيما نجاح في نشر الاسلام ، وجمع الناس عليه ، واستطاع ان يتخطى الصعاب التي توجد – دائماً – في طريق كل نازح غريب، يحاول أن ينقل الناس من موروثات ألفوها إلى نظام جديد، يشمل الحاضر، والمستقبل، ويعم الإيمان ، والعمل ، والخلق ، والسلوك[٥] .

ولقد حباه الله – تعالى – قدرة عجيبة على الإقناع ، فكان الرجل يدخل عليه في يده حربة يريد أن يقتله بها، فما هو إلا أن يتحدث معه ، ويتلو عليه شيئاً من القرآن الكريم ، ويذكر له بعض أحكام الإسلام حتى يلقي حربته، ويتخذ مجلسه مع مَن حوله مسلماً موحداً ، حتى انتشر الاسلام في دور المدينة كلها، ولم يكن بينهم حديث إلا عن الاسلام [٦] ، ففي أحد الأيام فاجأه – وهو يعظ الناس – أسيد بن حضير سيد بني عبد الأشهل بالمدينة، فاجأه شاهراً حربته، يتوهج غضباً، وحنقاً على هذا الذي جاء يفتن قومه عن دينهم ، ويدعوهم لهجر آلهتهم، ويحدثهم عن إله واحد لم يعرفوه من قبل، ولم يألفوه. وما إن رأى المسلمون الذين كانوا يجالسون " مصعباً " مقدم " أسيد " متوشحاً غضبه المتلظي ، وثورته المتحفزة، حتى وجلوا ، لكن سيدنا مصعباً ظل ثابتاً، وديعاً، متهللاً.

وقف أسيد أمامه مهتاجاً، وقال يخاطبه هو ، وأسعد بن زرارة : ماجاء بكما إلى حيِّنا، تسفّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا، إذا كنتما لاتريدان الخروج من الحياة !! فأجابه مصعب : أولا تجلس، فتستمع ؟! فإن رضيت أمرنا قبلته، وان كرهته كففنا عنك ماتكره . وكان أسيد رجلا أريباً عاقلاً ، فقال لمصعب : أنصفت ، والقى حربته إلى الأرض ، وجلس يصغي. فبدأ مصعب يقرأ القرآن ، ويفسر الدعوة التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ ، ولم يكد مصعب يفرغ من حديثه حتى هتف به أسيد، وبمن معه قائلاً: ما أحسن هذا القول، وأصدقه، كيف يصنع من يريد أن يدخل في هذا الدين؟ وأجابوه بتهليلة رجت الأرض رجّاً، ثم قال له مصعب: يطهر ثوبه، وبدنه،

---

[٤] ينظر : رجال حول الرسول ﷺ لخالد محمد خالد : ٤٧.

[٥] ينظر : فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي: ١٥٥.

[٦] ينظر: فقه السيرة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : ١٢٨.

ويشهد أن لا إله الا الله . فغاب أسيد عنهم غير قليل، ثم عاد يقطر الماء الطهور من شعر رأسه، ووقف يعلن أنه يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله. (٧)

وسيدنا مصعب بن عمير كان أنعم غلام بمكة، وأجوده حلة مع أبويه، ولكنه حين استشهد يوم أحد لم يجد الصحابة مايكفنونه فيه إلا ثوباً، فكانوا إذا غطوا رأسه خرجت رجلاه ، وإذا غطوا رجليه خرج رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : اجعلوه مما يلي رأسه ، واجعلوا على رجليه شيئاً من الإذخر (٨) .

ومن أولئك الشباب سيدنا الأرقم بن أبي الأرقم، كان فتىً عند إسلامه ، فلقد كان في حدود السابعة عشرة من عمره (٩) . وكان قديم الإسلام ، قيل: إنه كان سابع سبعة، وقيل : أسلم بعد عشرة أنفس. وهذا الفتى كان له دور عظيم في الدعوة، بل ان اسمه ارتبط بالدعوة حتى صار يقال عندما يذكر رجل أسلم قديماً: أسلم قبل أن يدخل النبي ﷺ دار الأرقم، ذاك أن النبي ﷺ كان يجتمع في داره مستخفياً من قريش بمكة، يدعو الناس فيها إلى الاسلام ، وبقي الحال على ذلك حتى أسلم سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ، فخرجوا كما هو معلوم.

ونشير – هنا – إلى أن اختيار دار الأرقم في بداية الدعوة كان غاية في الحكمة من الناحية الأمنية، اذ كان لاختيار دار أحد الشباب أثره الهام في التعمية، والمبالغة في السرية التي كانت كفيلة أن تموه الأمر على قريش، لأن حداثة سنّ الأرقم تجعل من المستحيل أن تفكر قريش يوم أن تفكر في البحث عن مركز التجمع الإسلامي في داره، فلن يخطر في بالها أن تبحث في بيوت الفتيان الصغار من أصحاب النبي ﷺ ، بل يتجه نظرها ، وبحثها إلى بيوت كبار أصحابه ، أو بيت النبي ﷺ نفسه (١٠) .

إن تطوع سيدنا الأرقم في جعل داره مكاناً يجتمع فيه النبي ﷺ ، وأصحابه الكرام – رضوان الله عليهم – في تلك الظروف العصيبة التي كانت تحيط بالدعوة دليل على تمكن الإيمان من قلب هذا الفتى الذي كان يعلم علم اليقين ما الذي يمكن أن تفعله قريش به حين تعلم

(٧) ينظر حادثة سيدنا أسيد بن حضير في : تاريخ الاسلام / السيرة النبوية : ٢٩٦ . وينظر رجال حول الرسول ﷺ : ٤٨-٤٩.

(٨) ينظر: أسد الغابة : ١٨٣/٥ . والإذخر : حشيش معروف طيب الرائحة.

(٩) توفي الأرقم في خلافة سيدنا معاوية رضي الله عنه ، سنة خمس وخمسين ، وهو ابن خمس وثمانين سنة. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني: ٢٨/١ . وهو : الأرقم بن أبي الأرقم بن أسد بن عبدالله المخزومي. واسم أبي الأرقم : عبد مناف بن أسد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم. ينظر: الاستيعاب : ١٠٧/١، وتاريخ الاسلام / السيرة النبوية : ١٣٨.

(١٠) ينظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية لمنير محمد الغضبان: ٤٩/١.

أنه قد فتح بيته لالكي يستقبل النبي ﷺ فيه، ولكن ليكون محلاً يجتمع به النبي ﷺ مع الناس يدعوهم إلى الدين الذي بعثه الله به، والذي فيه الدعوة إلى نبذ دين آبائهم، وماتعارفوا عليه [١١].

المبحث الاول

اهتمام الرسول ﷺ ببناء الشباب عقائدياً ، واجتماعياً

١- اهتمام الرسول ﷺ ببناء الشباب عقائدياً

حين بعث الله – تعالى – سيدنا محمداً – عليه الصلاة والسلام – ، بعثه ، وأوكل إليه مهمة صياغة الحياة صياغة جديدة بعد أن تردت أحوال البشرية في جميع نواحي الحياة ، يقول النبي ﷺ : ((... وان الله نظر إلى أهل الأرض ، فمقتهم عربهم ، وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب)) [١٢] ، فبدأ النبي ﷺ مهمته الشاقة، وكان من أولويات هذه المهمة تصحيح عقائد الناس والتي أصابها انحراف خطير، يقول الاستاذ سيد قطب – رحمه الله – : ((ظل القرآن المكي ينزل على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً كاملة ، يحدثه فيها عن قضية واحدة . قضية واحدة لاتتغير، ولكن طريقة عرضها لاتكاد تتكرر ، ...

لقد كان يعالج القضية الأولى ، والقضية الكبرى، والقضية الأساسية في هذا الدين الجديد .. قضية العقيدة، ممثلة في قاعدتها الرئيسية : الألوهية ، والعبودية ، ومابينهما من علاقة ...

لقد كان هذا القرآن المكي يفسر للإنسان سر وجوده، ووجود هذا الكون من حوله . كان يقول له : من هو ؟ ومن أين جاء ؟ ولماذا جاء؟ والى أين يذهب في نهاية المطاف؟ من ذا الذي جاء به من العدم والمجهول، ومن ذا الذي يذهب به ، وما مصيره هناك ؟ وكان يقول له : ماهذا الوجود الذي يحسه ويراه والذي يحس أن وراءه غيباً يستشرفه، ولا يراه؟ من أنشأ هذا الوجود المليء بالاسرار ؟ من ذا الذي يدبره؟ ومن ذا يحوره ، ومن ذا يجدد فيه، ويغير على النحو الذي يراه؟ . وكان يقول له كذلك : كيف يتعامل مع خالق هذا الكون، ومع الكون – أيضاً –، كما يبيّن له : كيف يتعامل العباد مع العباد.)) [١٣] .

---

[١١] اكتفينا بهذين المثالين خشية الاطالة، والا فالأمثلة أكثر من أن تحصى ، ويقف في طليعتها ما قام به سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه حين قدم نفسه فداءً لرسول الله ﷺ، فبات في فراشه ليلة الهجرة كما هو معروف .

[١٢] صحيح مسلم للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري : ١٩٧/١٧ ، وهو مطبوع مع شرحه (المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي).

[١٣] ينظر: معالم في الطريق للاستاذ سيد قطب – رحمه الله – : ١١.

وهكذا عمل رسول الله ﷺ على بيان ما أنزل الله عليه في القرآن ، فصحح عقائد الناس فيما يتعلق بالألوهية، والعبودية، ووضح لهم المستحق للعبادة، ونهاهم عن تقديم أي لون من ألوان العبودية لغير الله – تعالى –.

ولقد أولى رسول الله ﷺ الشباب عناية خاصة، فعمل على غرس العقيدة الصحيحة في نفوسهم منذ نعومة أظفاهم ، ذلك لما للاعتقاد من أهمية عظيمة في تصرفات الانسان ، فكما هو معلوم أن كل تصرف يصدر عن الانسان لابد أن يكون مسبوقاً بفكر يؤمن به الانسان.

ولعل خير مثال على ذلك سيدنا عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – الذي لم يمنع صغر سنه سيدنا رسول الله ﷺ من أن يبين له العقيدة الصحيحة، يقول سيدنا ابن عباس – رضي الله عنهما : ((كنت خلف النبي ﷺ يوماً ، فقال : ياغلام ، إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت ،فاسأل الله ، واذا استعنت ، فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام، وجفت الصحف)) [١٤].

إن الذي ينظر في واقع الأمة اليوم يجد كيف أنها، وبسبب اختلال عقيدتها قد سيطرت عليها الخرافات، والأساطير، وصار بعضها يؤمن بالمشعوذين، والكهان، ويعلق حياته على مايقوله كذابو الابراج، فأقعدها ذلك عن العمل، والإبداع، وصارت أمة متواكلة ، وتستعين بالأموات، وتسألهم قضاء حوائجها ، معتقدة أن الاموات بإمكانهم إجابتها ، متناسية قول الله – تعالى – : ﴿ *إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* ﴾ [١٥] ، وهذا أولاً، وصارت الأمة في الأعم الأغلب تخاف عدوها، وتقدم له التنازلات تلو التنازلات بحجة أن عدوها أقوى منها، وأن عدوها قادر على نفعها، أو ضرها، فأدى بها ذلك الأمر إلى فتح أراضيها للعدو التي جعل منها قواعد ينطلق لضرب باقي الأمة، وهذا ثانياً، وكل هذا إنما حدث للأمة لبعدها عن دينها الذي يدعوها إلى أن تكون قوية آخذة بأسباب العز، والمنعة، لأن النافع ، والضار هو الله، فمتى ماتمسكت الأمة بعقيدتها كان لها الغلبة، لذلك كان لابد من غرس هذه العقيدة السليمة في نفوس الشباب، وبنائهم بناءً إيمانياً صحيحاً.

٢ – اهتمام الرسول ﷺ ببناء الشباب اجتماعياً:

---

[١٤] جامع الترمذي للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي : ٧/٢٦٢-٢٦٣ ، وهو مطبوع مع شرحه (تحفة الاحوذي للمباركفوي) . وينظر : المستدرك على الصحيحين للامام أبي عبدالله الحاكم : ٣/٥٤١.

[١٥] سورة الأعراف: ١٩٤.

إن الانسان – وكما يقول علماء الاجتماع – مدني بالطبع [16] ، فلا يمكن للانسان إلا أن يعيش في مجتمع، وهذا المجتمع إذا كان يقوم على مبادئ سليمة كان المجتمع سليماً، والعكس صحيح . والاسلام عني عناية فائقة بتنظيم المجتمع . والمتأمل لآيات الكتاب العزيز ، والسنة المطهرة يجد ذلك واضحاً. ويحتل الشباب الموقع المتقدم من اهتمام رسول الله ﷺ في هذا المجال، فكان للرسول ﷺ طريقته الخاصة، وأسلوبه الحكيم في التعامل مع الشباب ، وتوجيههم الوجهة الصحيحة وفق منهج رائع يأخذ بنظر الاعتبار الضغط النفسي الذي يواجه الشباب، ويعمل على التخفيف من وطأة الواقع الحسي الذي يعيشه، والامثلة على ذلك الاهتمام كثيرة اكتفي بذكر بعضها، وكما يأتي:

أولاً: أخرج الإمام البخاري – بسنده – عن سيدنا عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – ، قال : ((كان الفضل رديف رسول الله ﷺ ، فجاءت امرأة من خثعم ، فجعل الفضل ينظر اليها، وتنظر إليه ، وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، ...)) [17] .

في هذا الحديث الشريف نقف أمام صورة رائعة من المعالجة لقضية خطيرة، قلما ينجو منها أحد – لاسيما الشباب – تلك القضية هي : النظر إلى الأجنبية ، فرسول الله ﷺ كان في حجة الوداع ، وخلفه على الدابة ابن عمه الفضل بن عباس، فأتت امرأة خثعمية، وكانت شابة، تستفتي النبي ﷺ ، وفي ذلك الموقف جعل كل من الفضل والمرأة ينظر أحدهما إلى الآخر [18] ، فياترى ماذا فعل رسول الله ﷺ ؟ هل صاح بهما ؟ هل أنزل الفضل من على ظهر الدابة، وطرده، وطرد المرأة، وقال لها : أنت تسألين عن أمر شرعي، وتفعلين هذا المنكر؟ هل فعل أي شيء يمكن أن يفعله غيره في مثل هذا الموقف؟ إنه – عليه الصلاة والسلام – لم يفعل أي شيء من ذلك ، ولاغيره، وانما عالج الموقف بكل بساطة، فأدار وجه الفضل إلى الجانب الآخر، وفي ذلك تنبيه له، وللمرأة ، ولغيرهما إلى عدم صواب ذلك الفعل.

إن هذا الذي قام به سيدنا الفضل والمرأة لو قُدّر أن يحدث أمام كثير من الموجهين لربما رأيت العجب العجاب كرد فعل على مافُعل ، وسبب ذلك عدم استيعاب هؤلاء الذين يتصدرون للتوجيه لتصرفات الرسول ﷺ، وكيف يجب أن يتعاملوا مع مثل هذه المواقف.

---

[16] ينظر : مقدمة ابن خلدون : ٤٩.

[17] صحيح البخاري للإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري: ١٥٥/٢، ٢٢/٣ ، وصحيح مسلم : ٩٧/٩-٩٨ ، والمجتبى من السنن للامام أحمد بن شعيب بن علي النسائي: ١١٩/٥ ، ٨ / ٢٢٨.

[18] حينما نذكر هذه الحادثة أثناء التدريس في الجامعة يتعجب كثير من الطلبة كيف فعل الفضل والمـرأة هـذا الذي فعلاه ، وهما في حضرة رسول الله ﷺ ، وفي ذلك الموقف الشريف ! فنجيب على هذا التعجب بأن الانسان — حتى لو كان صحابياً — بشر، تؤثر فيهم غرائزهم ، ومهمة الدين تهذيب غرائز الانسان، فالامر طبيعي جداً.

ثانياً: اخرج الامام أحمد – رحمه الله – بسنده – عن سيدنا أبي أمامة قال : ((إن فتىً شاباً أتى النبي ﷺ ، فقال : يارسول الله ، ائذن لي بالزنا ! ، فأقبل القوم عليه ، فزجروه، وقالوا : مه، مه ، فقال : أدنه ، فدنا منه قريباً، قال : فجلس، قال : أتحبه لأمك؟ قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : والناس لايحبونه لأمهاتهم. قال: افتحبه لابنتك قال : لا والله يارسول الله ، جعلني الله فداءك، قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال أفتحبه لأختك؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال : أفتحبه لعمتك؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله ، جعلني الله فداءك، قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال : فوضع يده عليه، وقال : اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت لشيء)) [١٩] .

ان هذا الحديث يصور لنا كيف كان سيدنا رسول الله ﷺ يتعامل مع بعض المواقف التي تحتاج عقلاً وحلماً بحكمة وتؤدة، وفي هذا تعليم للمسلمين جميعاً لاسيما الموجهين منهم ، وارشاد لهم إلى أفضل الطرق لمعالجة ماقد يحدث في المجتمع من أمور غريبة، فهذا الشاب جاء إلى النبي ﷺ ، وطلب منه أن ياذن له بالزنا ! فزجره الصحابة – رضوان الله عليهم – ، ولكن رسول الله ﷺ علم الصحابة، والمسلمين في كل زمان ومكان الطريقة الصحيحة في معالجة ما طلبه هذا الشاب، وحكّمه إلى عقله، فسأله: هل أن هذا الذي يطلبه يحبه لأمه، أو ابنته، أو أخته، أو عمته، أو خالته ؟ والشاب يجيبه كل مرة : لا ، والرسول ﷺ : يبين له أن الناس لايرضونه كذلك لمن ذكرهن ، وبهذا أقنعه بأن ما طلبه غير صحيح . ثم نلاحظ كيف أن الرسول ﷺ أدناه منه، وقربه إليه، وبعد ذلك وضع يده عليه، وفي هذا كله تعليم لنا لاتخاذ أنجع السبل التي يتم من خلالها معالجة ماليس صحيحاً دون المهاجمة والعنف الذي يؤدي إلى نتائج عكسية غالباً.

ثالثاً: وعناية الرسول ﷺ بتربية الشباب شملت حتى الناشئة منهم، لأنه كان يدرك أن الانسان إذا لم تحسن تربيته، وتنشئته منذ نعومة أظفاره ، فسيشب على ذلك الخلل في تربيته، فكان – عليه الصلاة والسلام – يوجه اهتمامه إلى هذه الفئة الناشئة، ويتعهدها بالنصح، والرعاية، يقول عمر بن أبي سلمة – رضي الله عنهما – ((كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش [٢٠] في الصفحة [٢١] ، فقال لي رسول الله ﷺ : ياغلام ، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك)) [٢٢] .

---

(١٩) مسند الامام أحمد بن محمد بن حنبل – رحمه الله – : ٥/٢٥٦-٢٥٧.

(٢٠) أي تتحرك فتميل إلى نواحي القصعة، ولاتقتصر على موضع واحد. ينظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم: ١٣/١٩٣، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر : ٩/ ٦٥٢ . وينظر: لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: ٦/٣١٢، مادة (طيش).

ونقف هنا مرة أخرى مع بديع أسلوب النبي ﷺ في التعامل حتى مع الغلمان، فهو لم ينهره، ولم يضربه كما يفعله كثير من الناس، وانما نهج أسلوباً تربوياً يمكن أن نشير اليه فيما يأتي:

أ- بدأ الرسول ﷺ بمناداة عمر بن أبي سلمة بصيغة (ياغلام) ، وهذه المناداة محببة لنفس الصغير، فيكون ذلك أدعى لانتباهه، واستجابته للنصيحة. وهذا الذي فعله سيدنا رسول الله ﷺ نقيض مايفعله بعض الآباء، والمهات، والمؤدبين عندما يرون سلوكاً غير سوي من أبنائهم، او المتعلمين ، فإنهم يغضبون أشد الغضب، وينادونهم بأقبح اسمائهم وصفاتهم، وهذا بلا شك يؤدي إلى نفور الأبناء من تقبل نصائح آبائهم، وأمهاتهم، ويؤدي في الوقت نفسه إلى إضعاف شخصيتهم، وتحقيرهم أمام إخوتهم ، وأقرانهم اذا كان الأمر حدث أمامهم.

ب- أحسن رسول الله ﷺ التوقيت المناسب لعلاج خطأ عمر بن أبي سلمة، وذلك عندما كان الخطأ مستمراً فيه، فيجب تصحيحه مباشرة قبل أن يتحول الخطأ إلى عادة مكتسبة، وعندما يتحول إلى عادة فمن الصعب معالجتها، وان عالجناها فاننا نحتاج إلى وقت طويل من الوقت والجهد لتصحيحها، ولهذا نلاحظ أن رسول الله ﷺ بدأ بمباشرة علاج الخطأ أثناء استمراريته ، وهذا مايجب الانتباه اليه، والاستفادة منه.

ج- لم تقتصر معالجة رسول الله ﷺ على طيشان يد عمر بن ابي سلمة في الإناء فقط، وانما عالج ، وصوب أموراً اخرى يقتضيها الحال، وتعد من أولويات الأمة وهي فيما يتعلق بآداب الطعام، فوجهه إلى أن يذكر اسم الله عند ابتداء الأكل ، وفي هذا ربط للطفل بخالقه، وتوجيه فطري لفكر الصغار لحب الله – تعالى–، واشعارهم بأنه هو الذي رزقهم هذا الطعام، ولولا رزقه لهلكنا من الجوع، والعطش، وبهذا يزداد حب الاطفال لله ﷻ ، وعندما يحبونه يتكون لديهم الاستعداد النفسي، والفكري لتلقي ما يأمر به الله – تعالى – . كما وجهه إلى أن يأكل بيمينه، وهي من آداب الطعام المهمة، والتي تندرج ضمن المنهج العام في استحباب التيامن [٢٣] .

---

[٢١] الصفحة دون القصعة، وهي ماتشبع خمسة، والقصعة تشبع عشرة. ينظر : المنهاج : ١٩٣/١٣، ولسان العرب: ٢٧٤/٨ ، مادة (قصع).

[٢٢] صحيح البخاري: ٨٨/٧ ، وصحيح مسلم : ١٩٣/١٣ . وينظر: جامع الترمذي: ٦٠٥/٥-٦٠٦ ، وليس فيه قوله (وكانت يدي تطيش في الصفحة).

[٢٣] ورد في ذلك أحاديث كثيرة ، منها ، قول أم المؤمنين السيدة عائشة — رضي الله عنها – : ((كان النبي ﷺ يعجبه التيمن في تنعله، وترجله، وطهوره وفي شانه كله)) صحيح البخاري: ٥٢/١ ، وصحيح مسلم : ١٦١/٣.

د- كما نلاحظ في هذا الموضوع مسألة غاية في الأهمية وهي انه – عليه الصلاة والسلام – كان يأكل مع الصغار، وهذا يدل على قوة الامتزاج النفسي بين الموجه والمتعلم ، مما يفتح مجالاً للحوار معهم ، ومناقشتهم ، وتصحيح أخطائهم، ولهذا فحريّ بالآباء، والأمهات، وكل المربين الجلوس مع أبنائهم ، والمتعلمين أثناء الطعام حتى يشعر الابناء، والمتعلمون بأهمية من يكون مسؤولاً عنهم ، وهذا سيؤدي إلى أن يكونوا قريبين منهم، والى تقبلهم لما يقولونه من توجيهات [٢٤] . وهذا الأمر غياة في الأهمية، وغفل عنه كثير من الموجهين مما أدى إلى حدوث فجوة واسعة بينهم ، وبين الشباب ، واذا ما لجأ احد الشباب لعرض مشكلة ما تواجهه يجابهه بعض المتصدرين للتوجيه باللوم والتوبيخ، فيؤدي هذا السلوك إلى أن يلجأ الشاب إلى أهل الفسق والفجور لعله يجد عندهم حلاً لمشكلته ، وتكون النتيجة عكسية ، وتؤدي إلى سقوط الشاب في شرك الفسقة والفجرة.

المبحث الثاني

اهتمام رسول الله ﷺ بإعطاء الشباب دور القيادة

لم يقتصر فعل رسول الله ﷺ على الاهتمام بالشباب فقط ، وإنما تجاوز ذلك ، فكان يتخذ منهم المعلمين، والقضاة، بل حتى الأمراء ، فكان يضع ثقة عظيمة في الشباب، ويدفع بهم إلى مواقع متقدمة في قيادة الأمة، أخرج الامام البخاري – بسنده – عن أبي بردة، قال : ((بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ، ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال : وبعث كل واحد منهما على مخلاف [٢٥] ، قال : واليمن مخلافان، ثم قال : يسرا ، ولاتعسرا، وبشرا ، ولاتنفرا، ...)) [٢٦] .

فهنا بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن معلماً، وقاضياً، وهو شاب لم يتجاوز الخامسة والعشرين من العمر[٢٧]، وقد احتفل به النبي ﷺ يوم بعثه ، فخرج يودعه بنفسه، وروي في ذلك أحاديث كثيرة تدل كلها على اهتمام النبي ﷺ ، وثقته الكبيرة به، وثنائه على عقله، فيروى أنه قال له : ((كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال : أقضي بكتاب الله، قال : فإن لم تجد في كتاب الله ؟ قال فبسنة رسول الله ﷺ ، قال فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ؟ قال : اجتهد

---

(٢٤) ينظر: من أساليب الرسول ﷺ في التربية : للشيخ نجيب خالد العامر : ٢٦-٢٨.

(٢٥) المخلاف أكثر مايقع في كلام أهل اليمن، وقد يقع في كلام غيرهم على جهة التبع لهم ، والانتقال لهم وهــو واحد مخاليف اليمن، وهي كورها . ولكل مخلاف منها اسم يعرف به ، وهو قبيلة من قبائل اليمن أقامت به، وعمرته. ينظر: معجم البلدان لياقوت بن عبدالله الحموي: ٣٧/١.

(٢٦) صحيح البخاري: ٢٠٤/٥.

(٢٧) توفي سيدنا معاذ في طاعون عَمَواس سنة (١٨) هــ، وكان عمره يوم توفي (٣٣) عاماً.

رأيي ، ولا آلو ، فضرب رسول الله ﷺ صدره ، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله)) (٢٨) .

وفي حديث آخر بين له أولويات العمل بقوله: ((إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا اله الا الله، وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم، وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم، فترد في فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها، وبين الله حجاب)) (٢٩) .

وروي أنه – عليه الصلاة والسلام – لما بعث معاذاً كتب إلى أهل اليمن : ((إني قد بعثت عليكم من خير أهلي: واليَ علمهم ، واليَ دينهم)) (٣٠) .

وحين عاد النبي ﷺ من حجة الوداع كان بانتظاره عمل خطير ، وهو رد خطر الروم، إذ أن كبرياء هذه الدولة على الاسلام جعلها تأبى عليه حق الحياة، وحملها على أن تقتل من أتباعها من يدخل فيه.

كان فروة بن عمرو الجذامي والياً من قبل الروم على (معان) ، وما حولها من أرض الشام ، فاعتنق الاسلام، وبعث إلى النبي ﷺ يخبره بذلك . وغضب الرومان، فجردوا على (فروة) حملة جاءت به ، وألقي في السجن حتى صدر الحكم بقتله ، فضرب عنقه على ماءٍ لهم يقال له (عفراء) بفلسطين، وترك مصلوباً ليرهب غيره أن يسلك مسلكه ! ، وقيل إنه لما قدم للقتل قال:

بلــــغ ســــراة المــــسلمين بــــأنني ســــلم لربــــي أعظمــــي ودمــــائي (٣١)

فأعد رسول الله ﷺ جيشاً كبيراً ، وأمّر عليه سيدنا أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء، والداروم من أرض فلسطين (٣٢) ، يبغي بذلك إرهاب الروم، وإعادة

---

(٢٨) ينظر : سنن أبي داود للامام سليمان بن الأشعث: ٩/٢٥٧-٢٥٨ ، وهو مطبوع مع شرحه (عون المعبود للعظيم آبادي) وجامع الترمذي: ٤/٦٣٧-٦٣٨، وسنن الدارمي للامام عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي: ١/٢٦٧ . وحديث معاذ هذا تكلم فيه الائمة كثيراً، ينظر: سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة لمحمد ناصر الدين الألباني: ٢/٢٧٣-٢٨٦ ، فقد أطال الكلام في تخريج هذا الحديث ، والتعليق عليه.

(٢٩) صحيح البخاري : ٢/١٢٤ ، وصحيح مسلم: ١/١٩٥-٢٠٠.

(٣٠) الطبقات الكبير لمحمد بن سعد : ٣/٥٤١.

(٣١) ينظر : الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزري: ٢/٢٠٣.

(٣٢) ينظر في ذلك : السيرة النبوية لأبي محمد عبدالملك بن هشام: ٤/٦٤١-٦٤٢، والروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي: ٤/٤٢٣.

الثقة إلى قلوب العرب الضاربين على الحدود، حتى لايحسبن أحد أن بطش الكنيسة لامعقب له ، وان الدخول في الاسلام يجر على أصحابه الحتوف، فحسب [٣٣] .

ونقف عند اختيار النبي ﷺ لسيدنا أسامة ليقود هذا الجيش في هذه المهمة الخطيرة، وأسامة وقتها كان لايتجاوز الثمانية عشر عاماً، حتى إن بعض الجهال ساءتهم هذه الإمارة ، واعترضوا أن يقود الرجال الكبار شابٌ حدث، فقال بعض الناس: " أمّر غلاماً حدثاً على جلة المهاجرين والأنصار)) [٣٤] . ولاشك أن النبي ﷺ لم يكن ليلتفت إلى مثل هذه الأمور، وإنما كان يولي من كان جديراً، فمن استحق منصباً بكفايته قدمه له، غير مكترث بحداثة سنه، ولذلك قال الرسول ﷺ رداً على انتقاد هؤلاء : ((أن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل [٣٥] ، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة [٣٦] ، وان ابنه من بعده لخليق بالامارة)) [٣٧]

إن هذا الذي فعله رسول الله ﷺ من تأميره أسامة بن زيد الذي لم يكن يتجاوز العشرين من العمر على جيش فيه أبو بكر ، وعمر ، لهو أكبر دليل على فهم الرسول ﷺ لدور الشباب في الأمة، حتى إنه ليدافع عن هذا الاختيار بعدما سمع ماسمع من بعض الناس، واعتراضهم على هذا التأمير، بل إن رسول الله ﷺ وهو على فراش الموت، وقبل أن يتحرك الجيش إلى غايته – وكان قد تأخر بسبب مرض النبي ﷺ كان قد ترك وصيته الحكيمة لأصحابه بأن ينفذوا جيش أسامة [٣٨] . وقد أصرّ سيدنا ابو بكر لاصديق ﷺ بعد ان بويع بالخلافة أصرّ على إنجاز وصية النبي ﷺ ، وأمره ، على الرغم من الظروف الصعبة التي خلّفتها وفاة رسول الله ﷺ ، فتحرك جيش أسامة إلى غايته، بعد أن استأذنه الخليفة أن يدع له عمر ليبقى إلى جواره بالمدينة. [٣٩]

وبيما كان امبراطور الروم (هرقل) يتلقى خبر وفاة رسول الله ﷺ ، تلقى في الوقت نفسه خبر الجيش الذي يغير على تخوم الشام بقيادة أسامة بن زيد، فحيّره أن يكون المسلمون

---

[٣٣] ينظر : فقه السيرة لمحمد الغزالي: ٤٩١ .

[٣٤] الروض الأنف : ٤٣٤/٤ . وينظر: الكامل في التاريخ : ٢١٥/٢، وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لأبي الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس: ٣٥٥/٢ .

[٣٥] يقصد النبي ﷺ يوم مؤته حين عيّن سيدنا زيد بن حارثة أميراً للجيش.

[٣٦] صحيح البخاري: ٢٩/٥.

[٣٧] ينظر في هذه الزيادة : عيون الأثر : ٣٥٦/٢.

[٣٨] ينظر : الكامل في التاريخ : ٢١٥/٢ ، وعيون الأثر : ٣٥٥/٢.

[٣٩] ينظر : الكامل في التاريخ : ٢١٥/٢ .

من القوة بحيث لايؤثر عليهم موت رسولهم في خططهم، ومقدرتهم. وهكذا انكمش الروم ، ولم يعودوا يتخذون من حدود الشام نقط وثوب على مهد الاسلام في الجزيرة العربية. (٤٠)

وفي حادثة أخرى تبين كيف كان النبي ﷺ يريد أن يكون للشباب دورهم في قيادة الأمة لاسيما قيادة المجاهدين الذين يمثلون القوة الخيّرة الضاربة في الأمة التي باعت نفسها لله امتثالاً لأمره، وطلباً لرضوانه، ومن أجل نشر مبادئ الخير والفضيلة التي جاء بها هذا الدين، وذلك حين ((بعث رسول الله ﷺ بعثاً وهم ذو عدد ، فاستقرأهم (٤١) ، فاستقرأ كل رجل منهم مامعه من القرآن ، فأتى على رجل أحدثهم سناً ، فقال : مامعك يافلان ؟ قال : معي كذا ، وكذا ، وسورة البقرة، قال : أمعك سورة البقرة؟ فقال : نعم ، قال : اذهب ، فانت أميرهم، فقال رجل من اشرافهم: والله يارسول الله مامنعني أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية ألا أقوم بها ، ...)) (٤٢).

ففي هذا الحديث بعد أن سمع النبي ﷺ من الرجال الذين انتظموا في ذلك البعث، حرص على أن يسمع من أصغرهم سناً، وبعد أن علم أنه يحفظ سورة البقرة (٤٣) جعله أميراً على ذلك البعث ، علماً أنه كان في البعث من هو أكبر سناً منه، وكان هذا الكبير حريصاً على أن ينال شرف الامارة ، وأعرب عن رغبته في ذلك حين قال لرسول الله ﷺ ماقال رجاء أن يتراجع النبي ﷺ عن قراره بتأمير ذلك الشاب، لكن ذلك كله لم يجعل رسول الله ﷺ يتراجع عن قراره ، ويؤمّر ذلك الشاب.

المبحث الثالث

اهتمام الرسول ﷺ باكتشاف مواهب الشباب ، وتوجيهها الوجهة السليمة

إن القائد الناجح هو الذي يمتلك صفة القدرة على اكتشاف المواهب، ويوجهها التوجيه السليم ، فتبرز الموهبة ، وتتفاعل مع المجتمع ، فيكون لها أثر في رفعة شأن الأمة . ورسول

---

(٤٠) المصدر السابق: ٢/٢٢٧.

(٤١) أي طلب من كل واحد منهم قراءة مايحفظه من القرآن ، فموضوع حفظ القرآن الكريم كان له أهميته في التفاضل ، فبمقدار حفظ القرآن الكريم يتقدم الانسان، أو يتأخر.

(٤٢) جامع الترمذي : ٨/١٨٣-١٨٤.

(٤٣) لسورة البقرة شأن عظيم لأنها حوت من العلوم والشرعيات ، وأخبار السالفين، والإلهيات مالم يحوه غيرها. واذا ماعلمنا أن الصحابة الكرام — رضوان الله عليهم — كانوا لايتجاوزون حفظ عشر آيات من القرآن حتى يعلموا مابها، ويعلموا بها، فتعلموا العلم والعمل معاً أدركنا سبب تقديم النبي ﷺ للذي يحفظ سورة البقرة.

الله ﷺ حرص على اكتشاف مواهب الشباب، وتوظيفها في خدمة بناء الأمة في جميع مجالات الحياة، ونقف – هنا – على موقف واحد من تلك المواقف التي تبين ذلك:

يقول أبو محذورة [٤٤] : ((لما رجع النبي ﷺ من (حنين) ، خرجت عاشر عشرة من مكة نطلبهم، فسمعتهم يؤذنون للصلاة، فقمنا نؤذن نستهزئ ، فقال النبي ﷺ : لقد سمعت في هؤلاء تأذين إنسان حسن الصوت، فأرسل إلينا ، فأذنّا رجلاً رجلاً ، فكنت آخرهم، فقال حين أذنت: تعال ، فأجلسني بين يديه، فمسح على ناصيتي، وبارك عليّ ثلاث مرات ، ثم قال : اذهب ، فأذن عند المسجد الحرام، قلت: كيف يارسول الله ؟ فعلمني ...)) [٤٥] .

وعند تأمل هذا الحديث الشريف نقف أمام مجموعة من الأمور يمكن الاستفادة منها في موضوع بحثنا:

الأول : كان عمر (أبي محذورة) ستة عشر عاماً عندما عينه رسول الله ﷺ مؤذناً في المسجد الحرام، وهذا العمر يعادل عمر شاب في الدراسة الثانوية في الوقت الحاضر، والسؤال هنا : هل استفادة الأمة الاسلامية من مواهب كثير من الطلبة ممن هم بهذه السن ؟! والإجابة معروفة سلفاً: لا ، وسبب ذلك لننا صددنا عن مواهبهم، وآرائهم، فنتج عن ذلك وجود هُوّة واسعة بين الشباب ، ومن هم أكبر منهم سناً، فالتمس الشباب اشباع هذا الجانب من حياتهم لدى آخرين من غير المنضبطين بقواعد الشرع الحنيف، فنتج عن ذلك الانحراف الخلقي ، والأدبي لكثير من الشباب، فخسرت الأمة طاقات، ومواهب إبداعية صارت تلهث وراء الجنس، أو المخدّر، أو الترف الماديّ، على حين نجد أن سيدنا رسول الله ﷺ انتبه لهذا السن من الشباب ، فأوجد لهم البيئة المناسبة لإظهار مواهبهم، وطاقاتهم لتكون في خدمة بناء المجتمع، والنهوض بالأمة.

الثاني: لقد راعى النبي ﷺ الجانب النفسي للموهوب، وكان على معرفة دقيقة بالطريق الأمثل للدخول إلى قلبه، وهذا الأمر – دون شك – يشعر الموهوب بالارتياح النفسي، مما يدفعه لإظهار موهبته على أكمل وجه، وهذا ماتم ملاحظته مع أبي محذورة، إذ أجلسه النبي ﷺ بين

[٤٤] هو أوس بن مِعْيَر بن لوذان بن ربيعة القرشي الجمحي. وقيل: سُمير بن عمير بن لوذان بن وهب. غلبت عليه كنيته. كان من أندى الناس صوتاً، وأطيبه. أسلم بعد حنين. اختلف في سنة وفاته، فقيل : ٥٩ هـ ، وقيل ٧٧ هـ . تنظر ترجمته في: أسد الغابة : ١/١٧٧، وشرح صحيح مسلم للنووي : ٤/٨٠ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٣/١١٧-١١٩.

[٤٥] ينظر : مسند الامام أحمد — رحمه الله - : ٣/٤٠٨-٤٠٩ ، والمجتبى : ٢/٥-٦ . وينظر: سير اعلام النبلاء: ٣/١١٧-١١٨. وينظر : صحيح مسلم : ٤/٨٠-٨١، وسنن أبي داود : ٢/١٠٧ —١١٢، والمجتبى : ٢/٤-٥ ، فيما يخص تعليم النبي ﷺ أبا محذورة الأذان.

يديه، وهذا أولاً، ومسح على ناصيته، وهذا ثانياً، وبارك عليه ثلاث مرات ، وهذا ثالثاً. وهذا الذي فعله النبي ﷺ له آثاره النفسية العظيمة في نفسية المتعلم.

الثالث : من الأمور السلبية التي تعاني منها الأمة أن كثيراً من قادتها منعزلون عن واقع الناس ، ويعتمدون في تقويم الأوضاع على تقارير غيرهم، وهذا أدى إلى حدوث خلل كبير في حياة الأمة، وحرقت طاقات ، ومواهب مبدعة لم تجد من يحتضنها ، ويرعاها لتأخذ مكانها في بناء الأمة ، وحل محلها العاجزون المتزلفون. لكننا لاحظنا في هذا الحديث، وحديث عمر بن أبي سلمة في المبحث الثاني كيف أن رسول الله ﷺ كان قريباً من الناس يأكل معهم ، ويجاهد معهم، ويعود مريضهم، ويمشي في جنائزهم ، وكان كما رأينا هنا يكتشف المواهب بنفسه، ويوجهها التوجيه السليم.

الرابع : استخدم رسول الله ﷺ أسلوب (مباشرة توظيف الموهبة) ، فبعد أن اجتاز أبو محذورة مرحلة التعلم بنجاح (وهي مايُطلق عليه الدورة التدريبية) ، اذ استطاع أن يتقن أداء الأذان، وبعد ذلك وظفه الرسول ﷺ مؤذناً لأهل مكة ، وهذا الأمر يجب أن ينتبه اليه المربون والموجهون في مباشرة إدخال من يمتلكون المواهب في اختبارات ، ودورات حتى تتنامى مواهبهم، ومن ثم يتم توظيفها في الميادين المختلفة في المجتمع [٤٦] .

التوصيات

في ختام هذا البحث أذكر بعض التوصيات التي أرى من الضروري ألإشارة اليها، وذلك فيما يأتي:

أولاً: ضرورة دراسة السيرة النبوية الشريفة دراسة تأملية فاحصة لمعرفة الأساليب التي استخدمها رسول الله ﷺ في الاهتمام بالشباب ، وبنائهم من أجل اعدادهم لتحمل المسؤوليات للنهوض بالأمة.

ثانياً: مراجعة تصرفاتنا تجاه الشباب، واعتماد الوسائل التربوية الصحيحة في التعامل معهم، والعمل على تجاوز التصرفات الانفعالية المؤقتة التي قد تولد نتائج عكسية.

ثالثاً: العمل على فتح قنوات للحوار مع الشباب، ومناقشتهم ، ومشاركتهم في شؤون حياتهم.

رابعاً: التنبيه إلى خطورة ترك الشباب ، وعدم الاهتمام بهم ، لأن ذلك قد يؤدي إلى وقوعهم في شرك الأفكار الهدامة، والمنحرفة فكرياً ، وخلقياً.

---

(٤٦) ينظر : من اساليب الرسول ﷺ في التربية : ٦٥-٦٨.

فهرس المصادر

١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب : أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري القرطبي (ت : ٤٦٣هـ). مطبوع بهامش الإصابة للحافظ ابن حجر الآتي. دار إحياء التراث العربي. بيروت . وهي طبعة مصورة على الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ.

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري المعروف بابن الأثير (ت : ٦٣٠هـ) . تحقيق وتعليق : محمد ابراهيم البنا، ومحمد احمد عاشور، ومحمود عبدالوهاب فايد . دار الشعب.

٣- الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ).

٤- تاريخ الاسلام ، ووفيات المشاهير والاعلام / القسم الخاص بالسيرة النبوية : أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي (ت : ٧٤٨هـ) . تحقيق: الدكتور عمر عبدالسلام تدمري. الناشر : دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة الرابعة، سنة ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

٥- جامع الترمذي: ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت : ٢٧٩هـ) . وهو مطبوع مع شرحه (تحفة الاحوذي للمباركفوري). اعتنى بها : علي محمد معوض، وعادل احمد عبدالموجود. دار احياء التراث العربي، بيروت. الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٦- رجال حول الرسول ﷺ : خالد محمد خالد . دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٧٣م.

٧- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي (ت : ٥٨١هـ) . علق عليه، ووضع حواشيه: مجدي بن منصور. منشورات: محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الاولى.

٨- سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة، وأثرها السيء في الأمة : محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض . الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م .

٩- سنن ابي داود : سليمان بن الأشعث السجستاني (ت : ٢٧٥هـ) . وهو مطبوع مع شرحه (عون المعبود للعظيم آبادي). تحقيق وتعليق وتصحيح : عبدالرحمن محمد عثمان . دار إحياء التراث العربي . الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٠- سنن الدارمي : أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل (ت : ٢٥٥هـ) . تحقيق : حسين سليم أسد. دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، ودار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

١١- سير أعلام النبلاء: الذهبي . تحقيق : شعيب الارنؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي. مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

١٢- السيرة النبوية: أبو محمد عبدالملك بن هشام (ت : ٢١٨هـ) . حققها ، وضبطها ، وشرحها ، ووضع فهارسها: مصطفى السقا، وابراهيم الابياري، وعبدالحفيظ شلبي. ملتزم الطبع والنشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، وأولاده بمصر . الطبعة الثانية ، سنة ١٣٧٥هـ -١٩٥٥م.

١٣- صحيح البخاري: أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري (ت : ٢٥٦هـ) . مطبوعات محمد علي صبيح، وأولاده بمصر.

١٤- صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت : ٢٦١هـ) . مطبوع مع شرحه (المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي) . دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٢هـ -١٩٧٢م.

١٥- الطبقات الكبير : محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت : ٢٣٠هـ) . تحقيق : الدكتور علي محمد عمر. الناشر: مكتبة الخانجي ، القاهرة . الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.

١٦- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: أبو الفتح محمد بن محمد بن عبدالله بن سيد الناس (ت : ٧٣٤هـ) . منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت. الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٧م.

١٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أبو الفضل احمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر (ت : ٨٥٢هـ) . دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٠هـ -١٩٨٩م.

١٨- فقه السيرة: الدكتور محمد رمضان سعيد البوطي. الطبعة السابعة، سنة ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م.

١٩- فقه السيرة: محمد الغزالي. دار الكتب الحديثة، مصر . الطبعة السابعة، سنة ١٩٧٦م.

٢٠- الكامل في التاريخ: ابن الأثير. الناشر : دار الكتاب العربي، بيروت . الطبعة الثانية ، سنة ١٣٨٧هـ -١٩٦٧م.

٢١- لسان العرب: أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الافريقي (ت : ٧١١هـ) . دار صادر ، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

٢٢- المجتبى من السنن: أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت : ٣٠٣هـ) . دار احياء التراث العربي ، بيروت، وهي طبعة مصورة على الطبعة الأولى بمصر ، سنة ١٣٤٨هـ -١٩٣٠م.

٢٣- المستدرك على الصحيحين : أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت : ٤٠٥هـ) . دار الكتاب العربي، بيروت. وهي طبعة مصورة على طبعة حيدر آباد الدكن.

٢٤- مسند الامام أحمد : الامام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني – رحمه الله – (ت : ٢٤١هـ). المكتب الاسلامي ، ودار صادر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٥- معالم في الطريق : الأستاذ سيد قطب – رحمه الله - : دار الشروق . الطبعة الخامسة عشرة ، سنة ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

٢٦- معجم البلدان : أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت : ٦٢٦هـ) . دار صادر ، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت. سنة ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م.

٢٧- مقدمة ابن خلدون : عبدالرحمن بن خلدون (ت : ٨٠٨هـ) . دار إحياء التراث العربي ، بيروت. الطبعة الثالثة.

٢٨- من اساليب الرسول ﷺ في التربية: الشيخ أحمد القطان. الناشر : مكتبة البشرى الإسلامية ، حولي . الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.

٢٩- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ابو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت : ٦٧٦هـ) .

٣٠- المنهج الحركي للسيرة النبوية : منير محمد الغضبان. مكتبة المنار، الأردن . الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.